

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[290] الطّالمون(1). "بغته" بمعنى "فجأة" و"جهره" بمعنى "الظاهر" والعلائية، والمألوف استعمال "سرّاً" في مقابل "جهره" لا "بغته"، ولكن لما كانت مقدمات العمل المباغت خافية غالباً، إذ لولا خفاؤه لما كان مباغتاً، فإن في "بغته" يكمن معنى الخفاء والسرية أيضاً. والقصد هو أن القادر على أنزال مختلف العقوبات، وسلب مختلف النعم هو الله وحده، وإن الأصنام لا دور لها في هذا أبداً، لذلك ليس ثمّة ما يدعو إلى اللجوء إليها، لكن لا لحكمته ورحمته لا يعاقب إلاّ الظالمين. ومن هذا يستفاد أن للظلم معنى واسعاً يشمل أنواع الشرك والذنوب، بل إن القرآن يعتبر الشرك ظلماً عظيماً، كما قال لقمان لابنه: (لا تشرك باً إنّ الشرك لظلم عظيم)(2). الآية الثالثة تشير إلى مركز الأنبياء، فتقول: ليست الأصنام العديمة الروح هي وحدها العاجزة عن القيام بأي أمر، فإن الأنبياء العظام والقادة الإلهيين أيضاً لا عمل لهم سوى إبلاغ الرسالة والإبذار والتبشير، فكل ما هنالك من نعم إنّما هي من الله وبأمره، وأنّهم إن أرادوا شيئاً طلبوه من الله: (وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين). والإحتمال الآخر في ربط هذه الآية بالآيات السابقة هو أن تلك الآيات كانت تتكلم عن البشارة والإبذار، وهنا يدور القول على أن هذا هو هدف بعثة الأنبياء، فهم مبشرون ومنذرون. ثمّ تقول: إنّ طريق النجاة ينحصر في أمرين، فالذين يؤمنون ويصلحون _____ 1 - شرحنا معنى "أرأيتمكم" عند تفسير الآية 40 من هذه السورة وقلنا: ليس هناك ما يدعو إلى اعتبار المعنى "أخبروني" بل المعنى هو "أعلمتم"؟ 2 - لقمان، 13.